

البداية والنهاية

من كان معه من أمراء الطبلخانات قريبا من ستين أمير أو يزيدون أو ينقصون على ما استفاض عن غير واحد ممن شاهد ذلك ثم سار قريبا من الزوال للمخيم الذي ضرب له قبل مسجد القدم عند قبة يلغا عند الجدول الذي هنالك وكان يوما مشهودا هائلا لما عاين الناس من كثرة الجيوش والعدد وعذر كثير من الناس صاحب دمشق في ذهابه بمن معه لئلا يقابل هؤلاء فنسأل الله أن يجمع قلوبهم على ما فيه صلاح المسلمين وقد أرسل إلى نائب القلعة وهو الأمير سيف الدين إياجي يطلب منه حواصل أرغون التي عنده فامتنع عليه أيضا وقد حصن القلعة وسترها وأرصد فيها الرجال والرماة والعدد وهبأنها بعض المجانيق ليبعد بها فوق الأبرجة وأمر أهل البلد أن لا يفتحوا الدكاكين ويغلقوا الأسواق وجعل يغلق أبواب البلد إلا بابا أو بابين منها واشتد حنق العسكر عليه وهموا بأشياء كثيرة من الشر ثم يرفعون عن الناس والله أعلم المسلم غير أن إقبال العسكر وأطرافه قد عاثوا فيما جاوروه من القرايا والبساتين والكروم والزروع فيأخذون ما يأكلون وتأكل دوابهم وأكثر من ذلك فإننا وإنا إليه راجعون ونهبت قرايا كثيرة وفجروا بنساء وبنات وعظم الخطب وأما التجار ومن يذكر بكثرة مال فأكثرهم مختف لا يظهر لما يخشى من المصادرة نسأل الله أن يحسن عاقبتهم .

واستهل شهر شعبان وأهل البلد من خوف شديد وأهل القرايا والحواضر في نقلة أثاثهم وبقارهم ودوابهم وأبنائهم ونسائهم وأكثر أبواب البلد مغلقة سوى بابي الفرديس والجابية وفي كل يوم نسمع بأمور كثيرة من النهب للقرايا والحواضر حتى انتقل كثير من أهل الصالحية أو أكثرهم وكذلك من أهل العقبة وسائر حواضر البلد فنزلوا عند معارفهم وأصحابهم ومنهم من نزل على قارعة الطريق بنسائهم وأولادهم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وقال كثير من المشايخ الذين أدركوا زمن قازان إن هذا الوقت كان أصعب من ذلك لما ترك الناس من ورائهم من الغلات والثمار التي هي عمدة قوتهم في سنتهم وأما أهل البلد ففي قلق شديد لما يبلغهم عنهم من الفجور بالنساء ويجعلون يدعون عقيب الصلوات عليهم يصرحون بأسمائهم ويعنون بأسماء أمرائهم وأتباعهم ونائب القلعة الأمير سيف الدين إياجي في كل وقت يسكن جأش الناس ويقوى عزمهم ويبشروهم بخروج العساكر المنصورة من الديار المصرية صلبة السلطان إلى بلاد غزة حيث الجيش الدمشقي ليحيئوا كلهم في خدمته وبين يديه وتصدق البشائر فيفرح الناس ثم تسكن الأخبار وتبطل الروايات فتقلق ويخرجون في كل يوم وساعة في تجميل عظيم ووعد وهبات حسنة ثم جاء السلطان أيده الله تعالى وقد ترجل الأمراء بين يديه من حين بسط له عند مسجد الدبان إلى داخل القلعة المنصورة وهو لابس قباء أحمر له

قيمته على فرس أصيلة مؤدبة معلمة المشي على القوس لا تحيد عنه وهو حسن